

التعريف بمنهجة

أبي عبد الله الداني في أصول القراءة والقراءة

د. الحسن وشكاف

قبل الشروع في المبحث الأول أذكر القاريء الكريم بما يحتم على التعريف بالمنهبة وأقول : ان من بين كتب الشيخ الداني المغمورة المنسية كتاب المنهبة، وقد أدت ندرة نسخها في العالم بأحد الأساتذة المستشرقين⁽¹⁾ الى أن قال عن نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية «هذه النسخة هي الوحيدة في العالم» وها هي المنهبة بين أيدينا الآن تعرض للتحقيق بعد أن يسر الله العثور على نسخها بالمغرب، والمنهبة هذه عبارة عن رجز عدة أبياته ألفان وستائة باعتبار الشطر بيتا.

والتعريف بالمنهبة يتطلب مني الاشارة الى الفنون العلمية التي يحتويها موضوعها والى تحقيق نسبتها الى الشيخ الداني وذكر الأسماء التي عرفت بها وكونها أصلا أو تلخيصا لما ألفه الشيخ الداني وكونها أصلا لما ألفه المغاربة في ميدان التجويد والقراءات ثم كونها مرجعا من مراجع العقيدة السلفية وكون الشيخ الداني لم يسبق بمثلها، وهذا يستلزم أفراد كل نقطة بمبحث خاص.

المبحث الأول

في بيان موضوعات الأرجوزة المنهبة

يشتمل موضوع المنهبة على فنون متعددة بعضها راجع إلى علوم القرآن كالأبواب التي عقدها الناظم لنزول القرآن وجمعه في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام أبي بكر وعثمان، والتي عقدها لأول ما نزل وآخر ما نزل منه ولعدد سوره وآيه وحروفه وبعضها راجع الى طبقات القراء كالأبواب التي عقدها الناظم للتعريف بالقراء من الصحابة والتابعين والقراء السبعة ورواتهم وأهل الاختيار وأهل الشواذ وأهل الاداء والمصنفين للحروف، وبعضها راجع الى

القراءات كالأبواب التي عقدها الناظم لأصول القراءات، وبعضها راجع الى التجويد كالأبواب التي عقدها الناظم لبيان حروف التجويد وبيان معنى الترتيل والتدوير والحدرد، وبعضها راجع الى أحكام الوقف والابتداء وهو من لوازم التجويد كالباب الذي عقده الناظم لبيان الوقف التام والكافي والحسن، وبعضها راجع الى بيان مخارج الحروف وأجناسها وصفاتها وهي من مقدمات التجويد كالأبواب التي عقدها الناظم لذلك، وبعضها راجع الى آداب رواية العلم واختيار الشيوخ كالأبواب التي عقدها لمن يقتدى به ولمن يؤخذ قوله ومن يترك، وبعضها راجع الى العقيدة كالأبواب التي عقدها الناظم لبيان عقائد أهل السنة وحب أصحاب النبي وبعضها راجع الى الفرق كالأبواب التي عقدها الناظم لتأنيب أهل البدعة وانتقاد الحنفية والظاهرية والمعتزلة، وبعضها راجع الى التمهيد في ميدان الفقه كالآليات التي خصصها الناظم بالترغيب في المذهب المالكي والتحذير من الحنفي والظاهري، وغير ذلك مما يعد استطرادا منه للمناسبة، وكل هذه الموضوعات ضمنها الشيخ الداني أرجوزته المنبهة عن قصد ولغاية مرسومة ومن أجل ذلك خالف عرف العلماء في تأليف الكتب العلمية.

والمأمل لهذه لموضوعات جميعا يدرك ان الشيخ الداني يرمى من ورائها الى غايتين اثنتين، الغاية الأولى تفصيل المعلومات التقليدية الخاصة بكل موضوع، والغاية الثانية دعوة صريحة الى التزام منهج أهل السنة والجماعة في ضبط العلم والتحري في نقله عن أهله بأمانة ومعلوم ان العلم عند السلف محصور في الكتاب والسنة، الا أن فهمهما فهما صحيحا لا يتم الا باتباع المنهج الصحيح الذي يتمثل في ضبط النص بضوابط السند وقواعد الرواية وضبط المعنى بأصول الفقه وقواعد الاستنباط وكلام الشيخ الداني في المنبهة انما يدور — زيادة على تفصيل المعلومات الموضوعية — حول تحقيق هذين المقصدين ببيان وسائل ضبط النص ووسائل ضبط المعنى.

فموضوع المنبهة اذن موضوع يخالف الموضوعات المألوفة في المؤلفات العلمية المحضة وفهم هذه الموضوعات يستدعي من الباحث أن ينظر اليها بمنظار خاص يستمد جذوره من البيئة المحيطة بالشيخ الداني بالأندلس في القرن الرابع

والخامس ويلتمس أصوله من أنواع البدع التي تهدد القرآن يومئذ من ناحيتي ضبط نصه وضبط تأويله.

المبحث الثاني

في تحقيق نسبة المنبهة الى الشيخ الداني

من جملة ما تفرضه قواعد التحقيق العلمي على كل باحث ان يتحقق من نسبة النص الذي ينوي معالجته بالبحث، ويطمئن الى صحة انتائه لصاحبه، وذلك انطلاقاً من قولهم «اذا قلت من نفسك فأثبت واذا نقلت عن غيرك فأسند» ومن هنا كان تحقيق نسبة المنبهة الى ناظمها علينا أمراً محتماً ومقدماً على محاولة فهم كل ما يتصل بموضوعاتها. وهذا يتطلب منا البحث عن الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه النسبة، فماهي الوسائل التي تجعل القارئ مطمئناً الى صحة هذه النسبة لما يلمس فيها من بصمات التوثيق العلمي.

إن أماننا وسائل متعددة لتحقيق نسبة المنبهة الى الشيخ الداني، وهذه الوسائل كلها مستمدة من تاريخنا وكتب تراثنا وهي تكون بمجموعها ما يشبه التواتر العلمي حول هذه النقطة ومن هذه الوسائل ما يلي :

الوسيلة الأولى : كتب التراجم مثل «معركة القراء الكبار» للذهبي «وغيابة النهاية» لابن الجزري و«الفهرست» لابن خير و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي و«سير أعلام النبلاء» للذهبي ؛ فكل هذه المصادر ذكرت من ضمن مؤلفات الشيخ الداني المنبهة باسم «الأرجوزة في أصول السنة»، ولا ننسى أن هذه المصادر موثقة.

الوسيلة الثانية : سند نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية، فقد كتب في أولى صفحة منها سند متصل من أبي عبد الله محمد بن عيسى المغامي الأنصاري تلميذ الداني عن أبي داود سليمان بن نجاح الأموي التلميذ الكبير للداني عن المؤلف رحمه الله، والتلميذان المذكوران هما المعروفان برواية كتب الداني ونشرها، وقيمة هذا السند تتمثل في كونه مؤكداً لا مؤسساً.

الوسيلة الثالثة : أرجوزة أبي داود سليمان بن نجاح المعروفة باسم «كتاب

الاعتقاد»، فقد ذكر الذهبي في معرفة القراء الكبار انه عارض بها رجز شيخه الداني في أصول القراءات وعقود الديانة، ويؤكد هذا ما ورد مكتوب على هامش نسخة الاسكندرية من قول أبي داود «وزيد شاهدا في رجزنا المعارض لرجز شيخنا رحمه الله» وما ورد هناك أيضا من استثذانه شيخه في الحاقه برجزه المنبهة البيت التالي في قراءة الكسائي ان الله لا يضيع في سورة آل عمران آية 171. والبيت الذي الحقه أبو داود برجز شيخه هو :

وهو ان الله لا يضيع في آل عمران وذا بديع

وفي هذا دلالة على شهرة هذا الرجز عند طلبة الشيخ الداني. وقيمة ما أشار اليه الذهبي وما كتب في نسخة الاسكندرية من ناحية التوثيق قيمة مؤكدة لا مؤسسة كقيمة السند الذي كتب في صدر النسخة المذكورة، ذلك لأنه يشترط في السند العلمي ان يكون منتقدا، وهذا السند وكذا هذا الهامش انما هما من باب الوجدادة في عرف النقاد المحدثين.

الوسيلة الرابعة : ما ورد في المنبهة نفسها من التصريح باسم الناظم، وذلك مثل قول الناظم في الترجمة رقم 2 « قال أبو عمرو وقد سمينا » ومثل قوله في نفس الترجمة «اذ كملت سميتها المنبهة » يضاف الى هذا اتفاق هذه العناوين المكتوبة على كل النسخ التي تم العثور عليها، وتطابقها على نسبة هذه المنظومة الى الشيخ الداني. ونوع دلالة ما كتب في هذه العناوين في حد ذاته ما لم يوثق من طرف أشخاص موثقين لا يكفي الاعتماد عليه وحده في التوثيق العلمي، ولكنه صالح للاعتماد عليه منضما الى غيره، ومن ثم كانت قيمته في باب التوثيق العلمي مؤكدة لا مؤسسة كالأشياء المذكورة قبله.

الوسيلة الخامسة : مؤلفات المؤلفين المتأخرين المغاربة كابن بري وابن القاضي⁽²⁾ وميمون الفخار⁽³⁾ ويحيى بن سعيد الكرامي⁽⁴⁾ فكل هؤلاء قد أشاروا الى المنبهة بهذا الاسم ونسبوها الى الامام الداني في غير مامرة في مؤلفاتهم، وان كان ميمون الفخار قد اضطر للتعبير عنها «بالتنبيه» كما سأبين ذلك قريبا. قال ابن بري في مقدمة «الدرر اللوامع» :

سلكت في ذاك طريق الداني إذ كان ذا حفظ وذا اتقان
وعلق يحيى بن سعيد الكرامي على هذا البيت بقوله «وروي أنه ألف مائة مجلدة
في علوم القرآن مثل المحكم والاستقصاء والتعريف والمنبهة، وهي المقصودة من
قول ابن بري، وقال ميمون الفخار في «تحفة المنافع» :

وأشد الداني في التبيينه ردا على المعيب ذي التهميه
ولا أراد الكسر للمرويه عن حمزة في ياء مصرخي
والبيت الأخير دليل على أنه يقصد المنبهة، لأن البيت منها.

وقال ابن القاضي عند قول ابن بري «حركة الهمز لورش تنتقل الخ» عملا بقول
الداني في المنبهة :

فان أردت الوصل دون وقف أدغمت هاء السكت دون خلف
قلت وفي ذلك دليل على شهرة المنبهة بهذا الاسم عند المتأخرين المغاربة وفي هذه
النقول المستفيضة قناعة تامة من أهل هذا الفن من المغاربة بأن المنبهة منسوبة
للشيخ الداني قلت وهذه الوسائل مجتمعة لم نستفد منها مجرد صحة هذه النسبة
بل استفدنا منها صحة هذه النسبة وتأكيدها في آن واحد.

المبحث الثالث

في ذكر الأسماء المطلقة على المنبهة

أطلقت أسماء عديدة على هذه المنظومة عند المتقدمين والمتأخرين من
المؤلفين، غير أن هذه الأسماء عند تأملها لا تخرج عن كونها نوعا من التصرف
اللفظي في اسم واحد أو تصرف ناشيء عن ملاحظة شقي المنبهة واشتغالها على
أصول العقائد وأصول القراءات سواء حصل ذلك ممن أطلق عليها هذه الأسماء
قصدا أو بدون قصد.

وعليه فمن تمام التعريف بالمنبهة ان نذكر هذه الأسماء كلها ونبين أنها جميعا
أسماء لمسمى واحد هو هذا الرجز الذي بين أيدينا، ومن هذه الاسماء :

أ — الأرجوزة في أصول السنة، ذكرها كل من الذهبي⁽⁵⁾ وابن
الجزري⁽⁶⁾

ب — الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات، ذكرها كل من الدكتور عزة حسن⁽⁷⁾ والدكتور التهامي الراجي⁽⁸⁾ والدكتور يوسف عبد الرحمان المرعشلي⁽⁹⁾.

ج — المنبهة، ورد هذا الاسم عنواناً على كل النسخ التي تم العثور عليها كما أشار اليه المؤلف رحمه الله في الترجمة رقم 2 بقوله :

اذ كـمـلـت سـمـيـتـها المنبهة لـكـونـها مـفـيـدة مـفـهـمة

د — رجز التنبيه، ذكره الشيخ ميمون الفخار في «تحفة المنافع» بقوله :
في رجز التنبيه والتحديد نص أبو عمر والرضى السديد

هـ — التنبيه، ذكره الشيخ ميمون الفخار أيضاً في نفس المنظومة بقوله :
وأنشـد الـداني في التـنـيـيـه ردا على المعيب ذي التـمـويـه

و — «الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقود الديانات بالتحديد والدلالات» ورد عنوان نسخة الاسكندرية فهذه ستة أسماء لمسمى واحد هو هذا الرجز الذي بين أيدينا اذ ليس هناك رجز غيره فيما نعلم، وقد سبب هذا التعدد في اسم المنبهة لبعض المؤلفين التباساً سائراً اليه عن قريب.

ويمكن ان أدير أسباب التعدد في اسم المنبهة على أمور ثلاثة سواء كانت مقصودة من طرف من سماها أو لم تكن مقصودة، لأن ذلك يلقي بعض الضوء على ما يمكن أن يحمل عليه كل اسم من أسمائها.

الأمر الأول: وهو مقصود للناظم رحمه الله في قوله «بالتحديد والدلالات» وسيأتي شرح هذا في أول تعليق من التعليقات على معاني نص المنبهة، والأمر الذي يحمل عليه ذكر هذه الزيادة في نسخة الاسكندرية وسقوطها في النسخ الأخرى هو اهمال النساخ له، والا فهو مقصود الناظم، وبهذا يزول الفرق بين النسخ التي ذكر فيها والتي سقط منها فتصير نسخة واحدة.

الأمر الثاني : وهو غير مقصود للناظم، وانما منشأ الخطأ في تصور موضوع المنبهة، ذلك الأمر هو اعتبار المنبهة أرجوزتين احدهما في أصول القراءات والثانية في أصول العقائد، وعن قريب أذكر لك سبب هذا التباس ونتيجته.

وبفهم هذا يزول الفرق بين الأرجوزتين فتصير أرجوزة واحدة بالنسبة لمن فهم منها أنها أرجوزتان في الموضوعين المذكورين وبالنسبة لمن فهم منها أنها أرجوزة في موضوع إحصاء مفصل لمؤلفات الشيخ الداني كما سيأتي بيان ذلك عن قريب.

الأمر الثالث : وهو غير مقصود للناظم. أيضاً، وإنما منشأه الاضطراب الذي تفرضه طبيعة النظم على الناظم، وعلى هذا الأمر يحمل تعبير الشيخ ميمون الفخار عن النبهة مرة برجز التنبيه ومرة بالتنبيه وسيأتي بيان ذلك عن قريب، وبهذا تزول الفوارق المتوهمة وبين أسماء المنبهة فتصير اسماً واحداً هي الأرجوزة المسماة بالمنبهة كما هو واقع العناوين المثبتة في النسخ التي تم العثور عليها. فالأمر التي يمكن أن يحمل عليها هذا التعدد اذن ثلاثة اهمال النساخ وعدم تصور موضوع المنبهة. والاضطراب الشعري وهناك امر رابع يتعلق بالشيخ ميمون الفخار خاصة في قوله في رجز التنبيه والتحديد، ذلك أنه قابل بين كلمة التنبيه وكلمة التحديد فكأنه فهم من المنبهة أنها رجز منهجه التنبيه مرة والتحديد مرة فيما يعالجه من الموضوعات وهذا ان لم يكن خطأ فقيه غموض وإيهام لما لم يكن في حسابان الشيخ الداني رحمه الله، فان الشيخ الداني بين منهجه في المنبهة بقوله في العنوان «بالتحديد والدلالات» وقوله في الترجمة رقم 28 «وغير ذا يوضح بالدلالة»، وقوله في الترجمة رقم 62 «وكل ذا يوضح بالبيان» ولا يستقيم إطلاق الشيخ ميمون الفخار كلمة التنبيه مكان كلمة الدلالة الا اذا قصد بها التعبير باللازم، لأن المقصود من الدلالة سواء كانت بالحركة او بالاشارة أو بالسكوت التنبيه على معنى معين، والله أعلم.

المبحث الرابع

في كون المنبهة أصلاً أو تلخيصاً لما ألفه الداني

يلاحظ الباحث الصلة متينة بين موضوعات المنبهة وبين موضوعات المؤلفات الأخرى للشيخ الداني الشيء الذي يجعله يتخيل أن تكون هذه المنظومة إما أصلاً لما ألفه بعد ذلك أو تلخيصاً له، والذي أثار في نفس الرغبة في دراسة هذه النقطة هو ملاحظتي بعض القرائن التي استقيتها من موضوعات المنبهة وتاريخ

نظمها والتشابه بينها وبين غيرها من مؤلفات الناظم والاحالة في بعض أبيات المنبهة على كتب أخرى للمؤلف.

ومن هذه القرائن ما يلي :

أ — القرينة الأولى ما ورد منصوصا في المنبهة من أن أبا عمرو انتهى من نظمها سنة 417 هجرية.

ب — القرينة الثانية : ملاحظة التشابه بين موضوعات المنبهة وبين موضوعات الكتب الأخرى للمؤلف ككتاب «التيسير في خصوص القراءات السبع» و«المكتفى» في خصوص الوقف والابتداء وكجامع البيان في عد اي القران وكطبقات القراء وأخبارهم في خصوص التراجم وغير ذلك.

القرينة الثالثة : الاحالة التي عثرت عليها في باب القول في الحرفين المتحركين الترجمة 38.

فاعتمادا على هذا التاريخ المبكر للمنبهة في القرينة الأولى واعتبارا لأوجه التشابه القوية بين موضوعات المنبهة وبين موضوعات الكتب الأخرى للمؤلف في القرينة الثانية وقع في ظني أن المنبهة أصل لغالب ما ألفه الداني من بعدها ذلك لأن الشيخ الداني عاش بعد نظم هذا الرجز سبعاً وعشرين سنة، وهي المدة التي ألف فيها غالب كتبه، ولأن ما تناوله في هذه الكتب يحتمل أن يكون تفصيلا لما أجمله في المنبهة، واعتمادا على الاحالة المذكورة في القرينة الثالثة وهي قوله في الترجمة رقم 38

وقد شرحنا أصله في ذاكا في كتبنا فخذ من هناكا

ترجع عندي أنها لم تكن أصلا لما ألفه من بعدها بل الأولى أن تكون تلخيصا، وكلا الاعتبارين يلاحظ معهما القاريء الصلة قوية بين موضوعات المنبهة وبين موضوعات الكتب الأخرى للمؤلف، وهو مقصودنا هنا، فلا يهمني في هذا المبحث أن تكون المنبهة أصلا لغيرها من مؤلفات الداني بمقدار ما يهمني أن أثبت هذه الصلة الوثيقة بين المنبهة وكتب الداني الأخرى والذي يهمني من وراء هذا أن أمهد للمبحث الموالي الذي يتحدث عن الصلة بين كتب اجدادنا الاقربين

وكتب أجدادنا الأقدمين من القراء الكبار الذين أصلوا أركان المدرسة المغربية في العقيدة والحديث والقراءات وقاوموا كل التيارات التي تحاول أن تطمس معالم المنهج السني في العلم والعمل، كما أنه لا يهمني من ذكر المغاربة دون المشاركة هنا اثارة العصبية والقوميات الضيقة، بل كل ما يهمني أن يستشعر المغاربة قبل غيرهم مسؤولية استرجاع أصالتهم، لأن الرباط الذي يربطهم بالامام الداني رباط مزدوج يجمع بين المعنى الديني والنسبي، ومن الأساليب المحمودة في البيان اثارة حماسة المخاطب بندائه باسم أبيه الكريم، لأن من شأنه عند ذلك أن يتأثر بداعي نسبه على الأقل اذا لم يتأثر بداعي دينه.

المبحث الخامس :

في كون المنبهة أصلا لما ألفه المغاربة في التجويد والقراءات

أشرت في المبحث السابق الى احتمال ان تكون المنبهة أصلا لما ألف الشيخ الداني وأشرت الى أن مقصودي الأول هناك ليس البرهنة على كون المنبهة أصلا لغيرها من مؤلفات الداني بل مقصودي البرهنة على الصلة الوثيقة بين مؤلفات هذا الشيخ الكبير، وهذا بخلاف مقصودي في هذا المبحث، فان الذي يهمني منه هو اثبات كون المنبهة أصلا لما ألفه أجدادنا المغاربة الأقربون، بل وعلمائنا المسلمون في كل مكان، لكن في مجال علم التجويد وعلم القراءات وما يتصل بهما وأما في مجال العقيدة فالأمر بالعكس، فان ما ألفه العلماء المغاربة والمشاركة في هذا المجال لا يمت الى المنبهة بصلة، وهذا ما جعلني أبحث هذه النقطة منفصلة مستقلة، لأن بحثها يثير دهشة القاريء عندما يطلع على هذه الازدواجية في شخصية آبائنا الأقربين ؛ وازدواجية تنم عن برورنا بالشيخ الداني في باب وعن عقوقنا له في باب، وتنم عن محبتنا للمنهج السني في مجال تجويد القرآن وعن تنكرنا له في مجال عقائد القرآن، ازدواجية تستوقف المتأمل أحيانا فيتساءل عن سبب هذه المفارقات الواضحة بين الكتب التي ورثناها في ميدان العقائد عن آبائنا الأقدمين وبين التي ورثناها عن آبائنا الأقربين ثم يتساءل عن سبب هذا

الانسجام الذي نلاحظه في الكتب التي ورثناها في ميدان تجويد القرآن وقراءاته
عن آباءنا الأقدمين وبين التي ورثناها عن آباءنا الأقربين !

قد يستعجل القارئ الكريم الجواب المفصل عن هذه المفارقات في هذا
المبحث لكن أحب أن يقصر معي اهتمامه هنا على ملاحظة الشواهد المحسوسة
على ما هناك من المفارقات والانسجام في كتبنا المتداولة ويرجيء معي الجواب
عن تفصيل ذلك الى المبحث الثالث من الفصل الثالث عند دراسة عقائد أهل
السنة ومقارنتها بغيرها فلنستعرض اذن الشواهد على الانسجام التام بين كتب
الأقدمين والمحدثين من آباءنا في ميدان التجويد والقراءات ثم بعدها الشواهد على
التباعد التام بينها في ميدان العقيدة.

أ — ميدان التجويد والقراءات : في هذا الميدان يتجلى بوضوح كون المنبهة
أصلا لما ألفه المغاربة والمشاركة، والشواهد على ذلك كثيرة، منها الاحالات التي
تقدمت قريبا من طرف ابن القاضي وابن بري وميمون الفخار ويحيى بن سعيد
الكرامي على المنبهة، ومنها ما أعلنه ابن بري بقوله :

سلكت في ذاك طريقة الداني اذ كان ذا حفظ وذا اتقان⁽¹⁰⁾
وما أعلنه ميمون الفخار بقوله :

طريقة الداني قد سلكت مستحسنا وهو الذي رويت
اذ كان ذا حفظ اماما متقنا أخذ عن سبعين شيخا معلنا⁽¹¹⁾

ومنها اقتباس الشيخ ميمون الفخار من المنبهة كما فعل في «تحفة المنافع»
في باب القول في الياءات التي تضاف حيث اقتبس خمسة أبيات من المنبهة من
الترجمة رقم 52 وضمها نظمه، وهي كما يلي :

وأشد الداني في التبيه	ردا على المعيب ذي التويه
ولا أرد الكسر للمروي	عن حمزة في ياء مصرخي
إذ ذاك من نقلهما مشهور	وعن ائمتهما مذكور
وفي لغات الفصحى قد سمع	ومن قياس النحو ليس يمتنع

أن لمن يرد ما رواه من شاهد الأصحاب أو قراه
برأيه سوء وبالقياس هذا لعمرى نزعة الخناس⁽¹²⁾

هذه بعض الشواهد على التزام المغاربة طريقة الداني في مجال التجويد والقراءات وهناك شواهد مثلها تدل على التزام المشاركة طريقة الداني مثل المغاربة، وهي كثيرة أيضا، منها قول الذهبي : «واليه المنتهى في اتقان القراءات والقراء خاضعون لتصانيفه» ومنها قول ابن خلدون السابق : «فظهر لعهد أبي عمرو الداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت إلى روايته أسانيداً وتعددت تأليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها⁽¹³⁾» والقولان صالحان شاهداً للمشاركة والمغاربة معاً، ومنها استشهادات ابن الجزري وأبي شامة وعلى النوري وغيرهم من أهل هذا الفن بأقوال الداني، ومنها نظم الامام الشاطبي لما في كتاب «التيسير» ذي الصلة القوية بكتاب المنبهة والذي اعتكف المغاربة والمشاركة على دراسته وشرحه والنسج على منواله من أيام الشاطبي إلى أيامنا هذه، ومن نسج على منواله وصرح بذلك في عنوان كتابه الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي وعنوان كتابه المحاذي لما في حرز الأمان⁽¹⁴⁾، ومن نسج على منواله نظماً الشيخ محمد بن ابراهيم الطيائي في منظومته المسماة عند أهل سوس «تاكساعليت» بمعنى القصيدة المنسوبة إلى آيت علي وآيت علي معناه آل علي قبيلة جبلية جنوب تارودانت بالمغرب.

ب — ميدان العقيدة : كان من الطبيعي أن يقلد المسلمون شرقاً وغرباً العقائد الواردة في الأرجوزة المنبهة، لأنها عقائد أهل السنة التي تعبد الله بها الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، غير أن ميل أغلبية المسلمين عن منهج أهل السنة إلى منهج الأشاعرة المتأخرين جعلهم يقطعون كل صلة بالمنبهة وكل ما كان على منوالها من كتب أهل السنة وينسجون على منوال الكتب التي تعتمد على صناعة المنطق، ومن ثم نجد الفرق بين ما قرره ابن أبي زيد في «الرسالة» يخالف مثلاً ما قرره ابن عاشر في «المرشد المعين» وما قرره اللقاني في «الجوهر»، فابن أبي زيد في مقدمة الرسالة يقول في تعريف الإيمان «مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح⁽¹⁵⁾» وابن عاشر يقول :

الايان جزم بالاله والكتب والرسل والأملاك مع بعث قرب⁽¹⁶⁾

واللقاني مثله يقول في منظومته الجوهرة :

وفسر الايمان بالتصديق والقول فيه الخلف بالتحقيق

فقل شرط كالعمل وقيل بل شطر والاسلام اشرحن بالعمل⁽¹⁷⁾

فابن زيد شرح الايمان بالنطق والاعتقاد والعمل، وابن عاشر واللقاني شرحاه بمجرد الاعتقاد القلبي وجعلنا النطق والعمل من لوازمه لا من أركانه، تأثرا منهما بالمذهب الأشعري والحنفي.

تلك شواهد على اتباع المشاركة والمغاربة ما في المنبهة في ميداني التجويد والقراءات وعدم اتباعهم لها في ميدان العقيدة لغلبة التيار الأشعري على العالم الاسلامي، ومن ثم كانت المنبهة أصلا لما ألف في المشرق والمغرب في باب دون باب !

والغرض من بحث هذه النقطة عندي لم تكن راجعة الى اعتبار المنبهة أصلا لكل ما ألف في المشرق والمغرب على سبيل الزوم الشرعي ذلك لأن كتب أهل السنة في التجويد والقراءات والعقيدة كثيرة وميسرة قبل الداني وبعده، وانما أثرت هذه النقطة بمناسبة تحقيقي لما في المنبهة من العقائد السلفية، لأنها مثال محسوس وبرهان ساطع على انحراف الخلف عن منهج السلف منذ أزمان، ولأنها وسيلة في الحديث عن الأصالة، ومعلوم أن الأصالة بالنسبة للمسلمين أصالة عامة شاملة متكاملة لاتقبل أن تكون أصالة لاقليم دون اقليم ولشعب دون شعب، ولا تقبل أن تكون في مجال التجويد والقراءات دون مجال العقائد، فهي أصالة الأمة الاسلامية في عقائدها وأخلاقها وعلمها ومنهج المسلمين في رحلاتهم العلمية وأسانيدهم ولقاءاتهم وطريقتهم في مدارس القرآن والحديث والأصول والفقه واللغة والأدب ومحجتهم في طلب العلم لله تعالى والصبر على نشره والمصابرة في الدفاع عنه ضد الأعداء، ومن هنا كانت المنبهة وسيلة مناسبة لتذكير المسلمين بأصالتهم، لأنها تتحدث عن كل جوانب الأصالة ولم يفتها منها جانب، تتحدث عن قيمة السند في الاسلام وعن حدود القياس وتتحدث عن آداب تلقي العلم

وشروط روايته وتحدث عن العقائد الصحيحة والعقائد الزائفة، وهذه هي أركان الأصالة، وغيرها تبع لها ومبني عليها.

فالذي يهمننا اذن هو أصالتنا لا أصالة كتب أجدادنا، فعندما نتحدث عن أصالة الكتب انما نقصد بذلك التذكير بما كان عليه أجدادنا الأولون من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح والسلوك الرفيع والعلم الرصين، والى هذه المعاني يرمي ذوو النيات الحسنة في بعث التراث الأصيل كالمنبهة في هذا العصر.

المبحث السادس

في كون المنبهة مرجعا من مراجع العقيدة السلفية

هناك مراجع كثيرة قديمة تعالج المذهب السلفي في العقائد وترد شبه أهل الأهواء وتحذر المسلمين من الاغترار بها وقد ورد في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي⁽¹⁸⁾ أن فتنة القول بخلق القرآن كانت هي السبب ليقظة المذهب السلفي والشعور بالخطر أمام المذاهب الضالة، خصوصا مذهب المعتزلة الذي سخر السلطة العباسية لنشر تعاليمه قسرا، تتمثل هذه اليقظة في ظهور مؤلفات علماء السنة تبين العقيدة الصحيحة وترد على المنحرفين عنها ردوداً متنوعة، وقد اتخذت هذه المؤلفات منهجين مختلفين، الأول منهج الرد والثاني منهج العرض. يتمثل المنهج الأول في المؤلفات الآتية

- 1 - كتاب الايمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)
- 2 - كتاب الرد الزنادقة والجهمية لأحمد بن حنبل (ت 241 هـ)
- 3 - الرد على الجهمية لعبد الله بن محمد الجعفي (ت 229 هـ)
- 4 - الرد على الجهمية لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت 256 هـ)
- 5 - الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة (ت 276 هـ)
- 6 - الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي (ت 280 هـ)
- 7 - الرد على الجهمية لعبد الرحمن بن أبي حاتم (ت 324 هـ)
- 8 - الرد على بشر المريسي لسعيد بن سعيد الدارمي المذكور.

ويتمثل المنهج الثاني في المؤلفات التالية :

- 1 - السنة رسالة لأحمد بن حنبل (ت 244 هـ)
- 2 - السنة رسالة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (ت 290 هـ)
- 3 - السنة لأبي بكر بن الاثرم (ت 272 هـ)
- 4 - السنة للمروزي محمد بن نصر (ت 294 هـ)
- 5 - السنة للخلال أحمد بن محمد بن هارون (ت 311 هـ)
- 6 - التوحيد لابن خزيمة (ت 311 هـ)
- 7 - الابانة لعبيد بن محمد بن بطة (ت 387 هـ)
- 8 - التوحيد لمحمد بن اسحاق بن مندة (ت 395 هـ)
- 9 - أصول السنة لأبي عبد الله بن أبي زمنين (ت 399 هـ)

تلك مراجع خاصة بالدفاع عن العقيدة السلفية في القرن الثالث وما بعده، وقد تنوسيت وطوى ذكرها عند المتأخرين قبل ان ييسر الله طبعها ونشرها في هذا العصر. ولاشك ان هنا مراجع اخرى لم يتعرض لذكرها صاحب هذا التحقيق لشرح السنة المذكور، ومن ضمنها المنبهة التي بين أيدينا ، ولأمر ما طوى ذكر هذه المراجع طيلة ألف سنة واشتغل المسلمون بدراسة كتب أهل الكلام وتخليد ذكرها⁽¹⁹⁾.

تتماز المنبهة عن المراجع المذكورة بكونها نظما وبكونها مزجت بين مباحث العقيدة ومباحث التجويد والقراءات، وتشارك هذه المراجع في معالجتها عقائد أهل السنة، فهي اذن من مراجع العقيدة السلفية وان تنوسيت كما تنوسيت مئات المراجع من أمثالها، فلوحاولنا تصنيفها مع احدى المجموعتين السابقتين لوجدناها تمثل منهاجا ثالثا لا يمكن ان نعتبره عرضا محضا ولا ردًا محضا فمنهجها آخذ من العرض بمقدار ومن الرد بمقدار، ففي التراجم الثلاث 22 و 23 و 24 نجد الشيخ الداني يعرض العقائد السننية عرضا يمتاز بنوع من الاختصار المناسب لطبيعة منظومته العامة. وفي الترجمة رقم 21 وكذا أواخر التراجم المذكورة 22 و 23 و 24 نجد الشيخ الداني يشير الى بعض الآراء المنحرفة عن خط أهل السنة ويحذر من اتباعها والاغترار بها، وفي مقدمة هذه الآراء الافراط في القياس وتقديمه على

الأثر عند الحنفية والتفريط في القياس وعدم اعتباره في الاستنباط عند الظاهرية والقول بخلق القرآن صراحة أي التستر بشعار اللفظية والواقفة وخلع طاعة الأئمة وطاعة الأمراء ونكران نزول عيسى وخروج الدجال واسقاط كثير من اشرط الساعة وغيرها عند المعتزلة والخوارج.

فبناء على هذا لم يتأت لنا أن نعدّها من احدى المجموعتين السابقتين بل اعتبرناها نوعا ثالثا جمع بين منهج المجموعة الأولى والمجموعة الثانية، فدل ذلك على أن المؤلفين في عقائد أهل السنة لم يقتصروا على استعمال المنهجين في كل العصور، بل كانوا يراعون الأساليب المناسبة للرد على الخصوم. وأكبر دليل على ذلك منهاج ابن تيمية في جميع كتبه في الرد على الفرق كلها خصوصا منهجه في كتابه «منهاج السنة» الذي يرد فيه على منهاج الكرامة لابن المطهر الشيعي فهذا الرجل لم يقتصر على منهج العرض ولا منهج الرد شأن الأوائل من أهل السنة بل استعمل كل الأسلحة مع خصومه يعرض ويقارن ويحلل ويرد ويتفلسف ويتعمق في استعمال أساليب المنطق والجدل القرآني بالمقدار الذي يتناسب مع مقام خصمه، كل ذلك اضطرارا منه لابطال شبه الخصوم، وقد تنكر لمنهجه هذا بعض أهل عصره ولاحظوا عليه أن هذا المنهج لم يكن منهج السلف كما حكى عنه الذهبي، قال عنه الذهبي: «ولا يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويرهن وينظر أسوة بمن تقدمه من الأئمة»، وقال عنه في موضع آخر «وكان بصيرا بطريقة السلف، واحتج له بأدلة وأمور لم يسبق إليها وأطلق عبارات أحجم عنها غيره، حتى قام عليه خلق من العلماء بالمصريين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لا يدهن ولا يحايي بل يقول الحق اذا أداه اليه اجتهاده»⁽²⁰⁾

المبحث السابع

في كون المنبهة عملا مبتكرا لم يسبق

الداني بمثله

صرح الشيخ الداني في باب القول في نزول القرآن بقوله :

ليس لها في حسنها نظير وكل نظم عندها حقير

وصرح في آخر باب من أبواب المنبهة بقوله :

لم أر قبل شاعرا محكما ولا اماما فاضلا مقدما
نظم قولاً في الذي نظمته فالفضل لي لا شك اذ قد صغته

فهذان القولان يدلان صراحة على أن الامام الداني لم يسبق من قبل أحد بنظم مثل هذا النظم في موضوعات مثل موضوعات هذا الرجز فمحل الابتكار في عمل الداني هذا راجع الى شيئين يلمحان من قوله السابق نفسه، أولهما النظم لقوله «اذ قد صغته» وثانيهما تنوع الموضوعات وتعدد الفنون التي تحتوي عليها المنبهة بدليل قوله السابق «نظم قولاً في الذي نظمته» وقوله في المقدمة «تضمنت فنونا».

وهناك وجه آخر لهذا الابتكار في المنبهة، وهو الجمع بين مباحث التجويد والقراءات وبين مباحث العقيدة في نظم واحد فهذا غير مألوف عند المؤلفين لا في القديم ولا في الحديث، وفالمألوف المستحسن هو تخصيص كل موضوع ببحث مستقل والابتعاد عن التداخل بين مختلف الموضوعات خصوصا اذا كانت بينها صلات ضعيفة الوشائج كشأن أبحاث التجويد مع أبحاث العقيدة. والفرق الذي بينه وبين الذي قبله هو أن التنوع في الذي قبله عام، والتنوع في هذا قاصر على الجمع بين مباحث العقيدة وغيرها.

وهناك وجه ثالث لهذا الابتكار في المنبهة، وهو الحديث عن العقيدة بأسلوب بعيد عن أسلوب أهل الكلام المعتاد في هذا الميدان يومئذ عند أهل الكلام من استعمال الأقيسة المنطقية اليونانية في قضايا الايمان والجنة والنار. وهي أقيسة عقيمة لا تهذب عقلا ولا تقوي عاطفة، ولا تنافي بين هذين الوجهين واللذين قبلهما بل هما بمثابة الشرح والتمثيل لهما. وعلى كل حال فالشيخ الداني واع لما يقول صادق فيما يزعم، فان المتتبع لما ألفه الأوائل قبل الامام الداني في مثل هذه الموضوعات يجزم بان الامام الداني لم يسبق بمثل هذا النظم العلمي، فهو بهذا من الأندلسيين الأوائل الذين مهدوا طريقة النظم في العلوم والفنون، هذه الطريقة التي تميز بها الاندلسيون فيما بعد⁽²¹⁾

ومع هذا كله فلا ينبغي لنا أن نحمل قول الداني ما لم يحتمل، فلا يعقل أن نحمله على أنه ابتكر شيئاً جديداً لم يعرف من قبل لا في مجال النظم ولا في مجال العلوم، فنحن نعلم أن العلوم كلها نضجت واكتملت قبل الامام الداني، ونعلم أن المؤلفات في هذه المجالات فوق الحصر، كما نعلم أن أوزان الشعر وطرق النظم مطروقة ومحصورة قبل الداني، كما نعلم أيضاً أن أبا عمر والداني بالنسبة لمن قبله من المتقدمين ومن بعده من المتأخرين لم يكن أوسع علماً كما قال الذهبي⁽²²⁾ ولا كان أمهر الناس بهذه الفنون كما قال أبو حيان⁽²³⁾

فوجه الابتكار اذن في عمل الداني هذا راجع الى الطريقة والمنهاج، والابتكار في هذا الباب مستمر غير متوقف عند المؤلفين يتمثل هذا المنهاج في جمع شتات كثير من المباحث في هذا المؤلف كما يتمثل في نظم هذا الشتات وتقديمه للناس في رجز سلس سهل حفظه على طلاب العلم في كل مكان.

ففضل سبق اذن ثابت للشيخ الداني في هذا الميدان، وأما فضل الحق فغيره ممن جاء بعده من تلامذته وغيرهم وأشهر هؤلاء على الاطلاق أبو دواد سليمان بن نجاح، فقد سبق انه عارض رجز شيخه الداني هذا برجز عدة أبياته 18440، وهذا الرجز من حيث الكم أضعاف ما في المنبهة ومن حيث الكيف يعتبر كله أو غالبه شرحاً أو نقداً لما في المنبهة كما تشعر بذلك الهوامش المثبتة في نسخة بلدية الاسكندرية وهذا لا يستغرب في ميدان العلم والتأليف فيه، فان فوق كل ذي علم عليم، والمتأخر عادة يستفيد من تجارب المتقدم ويكون منهجه أوضح وأقوم، ونبوغ كثير من المتأخرين في العلم دليل على أن الفضل لم ينحصر في المتقدمين كما صرح بذلك ابن مالك⁽²⁴⁾ في «التسهيل» بقوله، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين الخ.

ومما يلفت نظر القاريء الكريم هنا قول الشيخ الداني عن نفسه «فالفضل لي» لأنه كلام يوهم ما يشبه تزكية النفس المنهي عنه في الاسلام، غير أن المقصود بهذا الكلام من الشيخ الداني رحمه الله هو التحدث بالنعمة المأذون فيه فيه الاسلام، وبين المعنيين تشابه وتقارب في الظاهر، والدليل على أن الداني يقصد بكلامه هذا التحدث بالنعمة عليه قوله في نهاية المنبهة :

لم أرد ان يقال الي شاعر ولا بأي حاذق وماهر
ولا أردت عرضا من دينا ولا وجهة ولا ما يلي
الا ابتغاء الأجر والثواب من ذي الجلال الملك الوهاب

ومن أجل التشابه الذي بين تزكية النفس والتحدث بالنعمة كان الصحابة رضي الله عنهم يحترسون في كلامهم، من ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه في خطبته بعد توليته «الاواني قد وليت عليكم ولست بخيركم»⁽²⁵⁾ ومن ذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «لقد علم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اني أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم» ومن هذا القبيل قول الرسول صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»⁽²⁶⁾ وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقاس عليه أحد في هذا الباب، لأنه صاحب وحي مكلف بالتبليغ، فهو سيد وشافع مشفع ورسول حقا، لا أحد من المسلمين يشك في ذلك، ولا أحد من المسلمين يكتم الشهادة بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يكون من باب تزكية النفس.

المبحث الثامن :

في رفع الالتباس الواقع والمتوقع في موضوع المنبهة

وقع الالتباس في موضوع المنبهة من ثلاثة جوانب، الجانب الأول في العلاقة بين أسمائها المتعددة ومسمائها الواحد، والجانب الثاني في تعيين مرجع الضمير من قول ياقوت الحموي «ونظمها في أرجوزة مشهورة» والجانب الثالث في تعبير الشيخ ميمون الفخار عن المنبهة بالتنبيه. وأما الجانب الأول والثاني فقد نشأ عنهما الالتباس بالفعل عند بعض المؤلفين كما أبين ذلك عن قريب. وأما الجانب الثالث فيمكن أن ينشأ عنه الالتباس أيضا، وذلك بتوهم من يقرأ كلام الشيخ ميمون الفخار خلاف مقصوده منه ويحمله على بعض الرسائل للشيخ الداني التي تسمى بالتنبيه، واليك أنواع الالتباس الثلاثة فيما يلي :

أ — الالتباس الاول : في العلاقة بين أسماء المنبهة المتعددة وبين مسمائها الواحد.

قد سبق في المبحث الثالث من هذا الفصل ان المنبهة كانت معروفة بعدة أسماء، منها «الأرجوزة في أصول السنة» ومنها «الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقود الديانات» ومنها «رجز التنبيه» ومنها «المنبهة»، وقد سبق أيضا في المبحث الثالث الاشارة الى ما يمكن ان يكون اسبابا للتعذر في أسماء المنبهة، ورد ذلك في النهاية الى اسم واحد كما سبقت الاشارة الى المصادر التي ذكرت هذه الأسماء.

والتأمل لهذه الأسماء يلاحظ أنها جميعا صحيحة ومطابقة لمضمون هذه الأرجوزة، فالاسم الاول الذي ذكره الذهبي وابن الجزري واقتصرا عليه صحيح ومطابق، لأن من بين موضوعات المنبهة بيان أصول وعقائد أهل السنة، وكذا قول ياقوت الحموي في معجم الأدباء «تصدر للقراءات وألف فيها تواليف معروفة ونظمها في أرجوزة مشهورة» فهو أيضا صحيح ومطابق، لأن من بين موضوعات المنبهة ذكر القراء السبعة ورواتهم وذكر أصول القراءات، غير أن ياقوت لم يذكر كلمة «المنبهة» وانما الذي سماها بهذا الاسم هو الناظم نفسه كما سبق، وبناء على ذلك جاء هذا الاسم عنوانا على كل النسخ التي بين يدي واستعمله بعض المؤلفين المعاصرين في الأرجوزة الثانية التي توهموا وجودها، فاطلاق الأسماء الثلاثة على هذه المنظومة مطابق كما ترى، فغاية ما يفهم منها أنها أسماء لمسمى واحد انبنى كل واحد منها على جانب من جوانب المنبهة. غير أن الالتباس الواقع في هذه الأسماء جاء من المصادر التي ذكرت اسم هذه الأرجوزة مرتين : الأرجوزة في أصول السنة، والارجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات الخ. فبسبب ذكرهم الاسمين أولا ثم قرنهم احدهما دون الثاني باسم المنبهة ثانيا نشأ هذا الالتباس فظن أصحاب تلك المصادر أن هناك ارجوزتين احدهما في أصول السنة والثانية في أسماء القراء والرواة وأصول القراءات، والواقع الآن يؤكد انه ليس هناك الا واحدة.

وعليه فاذا عرفنا أن المصادر القديمة كـ «معرفة القراء الكبار» و«غاية النهاية» و«معجم الأدباء» لم تذكر الا اسما واحدا لهذا النظم وهو الأرجوزة في أصول السنة عرفنا ان مصدر الخطأ من بعض المتأخرين قطعاً، ويغلب على الظن أن

مصدر هذا الخطأ من الدكتور عزة حسن ثم انتقل منه الى من بعده ممن ذكروا مؤلفات الشيخ الداني. وقد تنبّه لهذا الخطأ بأمرين اثنين، أولهما التأمل في تسمية هذه الأرجوزة بالمنبهة من طرف الناظم من جهة ثم التأمل فيما ورد ضمن أبوابها من ذكر أصول السنة وذكر القراء والرواة وأصول القراءات من جهة أخرى، فهذا التأمل في الموضعين هو الذي ولد في نفسي الشك في أن هناك أرجوزتين اثنتين، والأمر الثاني ما ذكره الذهبي من الآيات في كل من معرفة القراء وتذكّر الحفاظ كشواهد على ما ورد في الأرجوزة الخاصة بأصول السنة، وهي نفس الآيات الواردة في المنبهة ضمن الترجمة 22 عند قول الناظم القول في عقود أهل السنة وبهذه الآيات أدركت ان الأرجوزة في الواقع واحدة وأدركت صواب ما ذكره الأقدمون وخطأ ما ذهب اليه المعاصرون من اعتبار هذه الأرجوزة أرجوزتين.

ب — الالتباس الثاني : في تعيين مرجع الضمير من قول ياقوت الحموي.

ذكر ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ما يلي «تصدر للقراءات وألف فيها تواليف معروفة ونظمها في أرجوزة مشهورة».

كل من تأمل سياق كلام الحموي يدرك بسهولة ويسر أن مرجع الضمير في قوله «ونظمها» الى القراءات لا الى التواليف، فان الضمير لا يطرد رجوعه دائماً الى أقرب مذكور كما يزعم البعض بل في رجوعه اليه تفصيل ليس هذا محله⁽²⁷⁾ انما استطردت في رجوع الضمير هنا لأنه يغلب على الظن أنه السبب في وقوع الالتباس الذي نحن بصدد شرحه، والذين التبس عليهم مرجع هذا الضمير هم واضعوا دائرة المعارف الاسلامية⁽²⁸⁾ وقد أحصى الداني ما يزيد على 120 تصنيفاً له في أرجوزة من نظمته، وذلك ما فهموه من قول ياقوت الحموي في معجم الأدباء «ونظمها في أرجوزة مشهورة».⁽²⁹⁾

فأنت ترى أن هذا الفهم قد قلب معنى المنبهة الى أرجوزة خيالية موضوعها احصاء التأليف التي ألفها الداني في موضوعات مختلفة، ومنشأ هذا الالتباس كما لا يخفى من عدم فهم هؤلاء لكلام ياقوت الحموي السابق، وهكذا نشأ عن الخطأ الأول عند هؤلاء المؤلفين المعاصرين تخيل القاري أن هناك أرجوزتين ؛ ونشأ عن الخطأ الثاني عند مؤلفي دائرة

المعارف الاسلامية تحيل القاريء أن موضوع هذه الأرجوزة إحصاء لمؤلفات الداني وبهذا الشرح يزول التخيلان والحمد لله.

ح — الالتباس الثالث : في تعبير الشيخ ميمون الفخار عن المنبهة بالتنبيه.

عبر الشيخ ميمون الفخار في أرجوزته المسماة «بتحفة المنافع في مقرأ الأسنى الامام نافع»⁽³⁰⁾ عن المنبهة بالتنبيه مرتين، مرة عند قوله :

في رجز التنبيه والتحديد نص أبو عمرو الرضى السديد
ومرة عند قوله :

وأشد الداني في التنبيه ردا على المعيب ذي القوية

نحن لا نشك في أن قصد الشيخ ميمون بقوله التنبيه في الموضعين هو المنبهة كما سيأتي بيان ذلك، انما عبز عنها بالتنبيه لضرورة الشعر، ومع ذلك فمن المحتمل جدا أن يحصل الشك لبعض القراء قبل أن يتبين قصد الشيخ ميمون بالقرائن المحتفة بكلامه فيخيل اليه أنه قصد رسائل التنبيه لا المنبهة.

هذا وقد لا حظ معي القاريء فيما سبق أن من بين مؤلفات الشيخ الداني رسائل تسمى بالتنبيه، منها التنبيه على النقط والشكل، ذكرها كل من الدكتور عزة حسن⁽³¹⁾ والدكتور التهامي الراجي⁽³²⁾ والدكتور يوسف المرعشلي⁽³³⁾ ومنها التنبيه على الجهل والخطأ والتمويه، ذكرها الدكتور التهامي الراجي⁽³⁴⁾ ومنها التنبيه على مذهب أبي عمرو ابن العلاء ذكرها الدكتور يوسف المرعشلي⁽³⁵⁾.

ووجه الالتباس المتوقع هنا هو ان من لم يتأمل قصد الشيخ ميمون الفخار قد يتوهم أنه قصد بقوله «التنبيه في الموضعين» احدى الرسائل الثلاث المذكورة آنفا. والدليل على أنه يقصد المنبهة بقوله ذاك قرينتان : الأولى قوله «في رجز التنبيه» ذلك لأن الرسائل الثلاث ليست رجزا بل هي نثر. والقرينة الثانية قوله : «ولا أرد الكسر للمروي عن حمزة في ياء مصرخي»، ذلك لأن البيت هكذا ورد في المنبهة عند قول النظم القول في ياءات الاضافة.

هذا وإذا تأمل القاريء قليلا سبب هذه الأخطاء المتداعية في موضوع المنبهة علم أن مصدرها الأساسي هو ندرة نسخ المنبهة أن لم نقل فقدان نسخ المنبهة عند عامة القراء المعاصرين وما يتبادر الى الأذهان من عدم التناسب بين مباحث القراءات ومباحث العقائد في عرف تأليف الكتب، أما الدليل على ندرة نسخ المنبهة فالواقع الملموس وشهادة المستشرق أنو المسجلة على ظهر نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية، وأما الدليل على عدم التناسب بين المبحثين فما يشعر به كل واحد منا تأثرا منه بالعرف العام في تأليف الفنون والتمييز بين موضوعاتها، ويؤكد هذا الأخير هذا الوهم الذي حصل لبعض المعاصرين في اعتبار الأرجوزة المتحدث عنها أرجوزتين.

هكذا كتب على المنبهة أن تعاني غربة شديدة في خزائن العالم ويعاني مدلولها غموضا شديدا في تصور بعض القراء والمؤلفين المعاصرين، بعد أن كانت مشهورة ومدروسة ومنتقدة عند الأقدمين⁽³⁶⁾ وبعد أن كانت مفخرة لأهل الأندلس كما وصفها ناظمها بذلك في قوله :

فهي مفخر لأهل الأندلس يقى لهم مجددا لا يندرس

قلت وهذه الغرابة لا تستغرب عند من عرف ما أصاب الأندلس وكتب أهل الأندلس. فنكبة الأندلس في هذا الباب تقارن بنكبة بغداد في احراق التراث النفيس واتلافه ونهبه، هذا كله بالنسبة للاعتداء الخارجي على تراث المسلمين من طرف التتار والمغول في الشرق ومن طرف نصارى الشمال — كما يسمون يومئذ — على الأندلس بالمغرب.

وهناك سبب آخر يتصل بغربة التراث النفيس وضياعه وإهماله من طرف المسلمين أنفسهم، ذلك السبب هو الحقد المذهبي والكراهية الطائفية، فخطر هذا السبب قلما ينتبه اليه عامة الناس مع أنه أخطر من الأول في كثير من الوجوه، فكثيرا ما سمعنا باحراق كتب نفيسة لا لسبب غير سبب الكراهية المذهبية والطائفية⁽³⁷⁾ وأحيانا لا تحرق ولكن تهمل لنفس السبب ولا أشك في أن هذا من جملة ما ابتليت به نسخ المنبهة. لأن صاحبها كان سنيا يدافع عن المذهب

السني، والعالم بعده انقلب أشعريا. ومهما قيل في التقارب بين المذهب الأشعري والسني فإن الخير بشر الطوائف لا يخفى عليه ما يلزم الاختلاف في العقائد من التدابر والتقاطع والمحاربة السافرة أحيانا والخفية أحيانا⁽³⁸⁾.

هذا ولولا أن كتب الله بعث المنبهة على يدي من بين رفوف خزانة تمكروت ثم خزانة بلدية الاسكندرية لاندروست وللقيت نفس المصير الذي لقيته الأندلس وأهل الأندلس، لهذا لا يسعني هنا الا أن أحمد الله تعالى وأن أتحدث بنعمة الله عليّ على أن يسّر لي تحقيقها ونشرها كما تحدث الشيخ الداني بنعمة الله عليه على أن يسر له نظمها وصياغتها. وبين هذا وذاك ألف سنة تقريبا.

الهوامش

- (1) أقصد به الأستاذ أبو المستشرق.
- (2) قال ابن القاضي قال الداني في المنبهة «فالتون والتنوين يدغمان».
- (3) قال ميمون «وأشدد الداني في التنبيه» كما سيأتي.
- (4) قال الكرامي ورواة نافع كثيرة وفي رواية عشرة وقد جمعهم الداني في المنبهة.
- (5) معرفة القراء الكبار للذهبي ج 1 ص 408.
- (6) غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 505.
- (7) مقدمة تحقيق كتاب المحكم في نقط المصاحف.
- (8) مقدمة تحقيق كتاب التعريف في اختلاف الرواة عن نافع ص 57.
- (9) مقدمة تحقيق كتاب المكتفى في الوقف والابتداء ص 36.
- (10) النجوم الطوالع ص 18
- (11) مخطوطة خاصة اللوحة 03
- (12) المخطوطة السابقة للوحة 68
- (13) ابن خلدون المقدمة ص 437
- (14) المخاض لابن عبد السلام الفاسي مخطوط في الخزانة العامة بالرباط رقم 3443 / د
- (15) حاشية العدوي على شرح أبي الحسن على الرسالة ج 1 ص 27
- (16) المجموع الكبير من المتون فيما يذكر من الفنون ص 39
- (17) المجموع الكبير من المتون فيما يذكر من الفنون ص 14
- (18) انظر مدخل شرح أصول الاعتقاد للالكائي ج 1 ص 49
- (19) كانت القرون الثلاثة الثالث والرابع والخامس في الشرق والغرب الاسلاميين فترة تعرف صراعا في ميدان العقائد وتعرف مؤلفات كثيرة لأهل السنة في الموضوع، الا أن غالب هذه المؤلفات مغمور اليوم، وقد ركز صاحبنا الدكتور محمد المغراوي في أطروحته على احياء ما كتبه السلف في الموضوع، فكانت أطروحته لذلك فريدة من نوعها جزاه الله خيرا.
- (20) الذهبي : الدرر الكامنة ج 1 ص 161 — 168.
- (21) في البيعة الأندلسية وأثرها في الشعر ص 366. في الأدب العربي والنصوص ص 166
- (22) الذهبي سير أعلام النبلاء ج 18 ص 77 — 184.
- (23) منجد المقرئين لابن الجزري ص 25 — 26.
- (24) ابن مالك في تسهيل الفوائد تكميل المقاصد ص 2
- (25) قلت هذا القول كقول الشيخ الزواوي في منظومته المشهورة في معاني الحروف :

من ظنني أعلمته فضلي ظهر اذ صفت نظما استار وزهر
الله يعلم أكنت كدت أقول أنسوي الخير اني سدت

- (26) محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ج 1 ص 86.
(27) انظر أصول النحو لسعيد الافغاني ص 107
(28) هم جماعة من المستشرقين، وعربها محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وابراهيم خورشيد.
(29) المكتفي في الوقف والابتداء بتحقيق المرعشي ص 36
(30) مخطوطة مشهورة بين طلبة القرآن بالمغرب اللوحة رقم 68.
(31) الدكتور عزة حسن : تحقيق كتاب المحكم في نقط المصاحف ص 67
(32) التعريف في اختلاف الرواة عن نافع ص 58
(33) المرعشي المكتفي في الوقف والابتداء ص 38
(34) التعريف في اختلاف الرواة عن نافع ص 57
(35) المكتفي في الوقف والابتداء ص 38
(36) من هؤلاء سليمان بن نجاح والتجيبى وابن خير وغيرهم من الأندلسيين.
(37) من ذلك احراق كتب ابن حزم في الأندلس واحراق كتب ابن تيمية في كل مكان.
(38) ابن تيمية مجموع الفتاوى المجلد السادس ص 359 — 360. أو العقيدة الطحاوية ص 319